العرب
الإثنين 2020/01/27
السنة 42 العدد 11599

معركة كسر عظم بين القاعدة وداعش في أفريقيا

حرب ثأرية بأهداف واستراتيجيات قتالية متباينة

تختلف الشعارات لكن الهدف واحد

ساهم مقتل زعيم داعش أبوبكر البغدادي في تأكيد الحرب المشتعلة بين داعش وتنظيم القاعدة خاصة في أفريقيا، حيث أصبح كل من الطرفين يكابد لإثبات نفسه لكن بأجندات مختلفة. ففيما تواصل القاعدة نهج نفس الخيار القائم على التغلغل في مجتمعات أفريقيا، يحاول داعش المحافظة على نهج ما يسميه الخلافة العالمية العابرة للقارات.

هشام النجار
كاتب مصري

القاهرة – يدرك تنظيما القاعدة وداعش، أن النجاح في حسم السيطرة على الفضاء الجهادي في أفريقيا يعزز فرص أحدهما في احتواء اضطرابه الناجم عن الهزائم العسكرية وغياب القيادة، ومن أجل هذا يسعى كلا التنظيمين للتمدد والبقاء في القارة السمراء على حساب الآخر.

يركز التنظيمان على إثبات نفسيهما، ويحاول كل طرف منهما التأكيد على أنه الأجدر بالاستحواذ على الفضاء الأفريقي.

لم يعد التنافس بين الجانبين موضع شك في أفريقيا لدى المتابعين للتطورات الأخيرة. وتدور تساؤلات حول من باستطاعته تقليص القدرات العسكرية والبشرية للآخر، مع حرص تنظيم القاعدة على انتهاز الفرصة لاستعادة أفرعه التي انشقت عنه وأعلنت الولاء لداعش، مقابل استماتة الأخير بعدم التفريط في ما حققه من تمدد يراه لازمًا لإثبات وجوده.

يستغل تنظيم القاعدة حالة الارتباك التي أصابت داعش عقب مقتل زعيمه أبوبكر البغدادي بغرض اختراق التنظيم الذي تمدد في أفريقيا قاضمًا من جسد القاعدة على وقع صعوده السريع بعد إعلان خلافته من العراق.

أعلن تنظيم أنصار المسلمين في بلاد السودان والمعروف أيضًا باسم (أنصارو) الذي كان قد انشق عن بوكو حرام في يناير 2012 مواصلة نشاطه العسكري من أرضية الولاء للقاعدة بعملية رمزية نفذها مؤخرًا ضد دورية للجيش النيجيري.

وتنطوي معاودة هذا التنظيم الموالي للقاعدة لنشاطه في نيجيريا على معاني ورسائل كثيرة، ويؤكد أن انشقاقه المعلن عن تنظيم بوكو حرام كان غرضه الإيحاء بأن أفرع داعش في أفريقيا تأثرت بهزائم التنظيم بمعاقله الرئيسية في منطقة الشرق الأوسط، وأن مصيرها سيكون العودة إلى حضن القاعدة من جديد.

يشير الإعلان إلى بدء مرحلة جديدة لا تقتصر الانشقاقات فيها على تغيير القيادة أو الاستقلال بجبهة كما كان يجري داخل بوكو حرام تحت عنوان داعش على مدار سنوات، ويدشن لاختراقات منهجية طارحة بدائل تنظيمية وفكرية منافسة تحظى بحواضن وقبول محلي مقارنة بمنهجية وأساليب داعش.

اختراقات ممنهجة

بعد تجارب سيطرت عليها الاختراقات المتبادلة والانشقاقات والصراع الداخلي المسلح نتيجة الخلط بين منهجية داعش والقاعدة داخل بوكو حرام التي انقسمت فعليًا إلى ثلاث جبهات، أو حركة الشباب الصومالية أو جماعة نصرة الإسلام والمسلمين في منطقة الساحل الأفريقي، يسعى تنظيم القاعدة لفرض رؤيته وتعميم منهجيته كسبيل لتحقيق الاستقرار التنظيمي بمراكزه في أفريقيا.

وتروّج القاعدة للدخول في تحالفات مع المسلمين المحليين، وتحث القبائل والمكونات الشعبية للقتال وتشجعها على "ثورة إسلامية" بما يعزز من ترابطها مع العامة وتغلغلها داخل المجتمعات المحلية لتقوية صفوفها في مواجهة القوات الأمنية المحلية المدعومة إقليميًا ودوليًا، وترى أن هجماتها ينبغي أن تستهدف فقط رموز الدول والقوى الأجنبية وليس المدنيين. لا يعد إعلان دولة الخلافة العالمية الهدف الأول للقاعدة، بل تسعى على عكس داعش للتخفيف من وطأة التكفير والقتل العشوائي للمدنيين التي طبعت النشاط الجهادي طوال السنوات الماضية في أفريقيا نتيجة الاختلاط بالعناصر الجهادية الشرق أوسطية.

ويدعو تنظيم القاعدة للتحرك في نطاق محلي وطني والتمسك بهوية إقليمية، فشكل "الخلافة" التي يطرحها محكوم بمقتضيات البيئة المحلية ومحدود بمدى امتداد نفوذ العشائر والقبائل بما يتوافق مع الواقع الأفريقي، وصراعه فقط ضد القوى الغربية المنخرطة في المواجهة بجانب الدولة وليس ضد عموم القوى الغربية على غرار داعش.

في المقابل، اعتمد تنظيم داعش في أفريقيا مؤخرًا على إثبات قدرته على شن أكبر عدد من الهجمات التي لا تفرق بين مدنيين وعسكريين، باعتبارها الطريقة الناجعة لنشر أفكاره على نطاق واسع وخلق حالة من التماسك التنظيمي وللحفاظ على ولاء عناصره للقيادة الجديدة والحيلولة دون حدوث انشقاقات.

ويواصل التنظيم المنهك الترويج لسرديته التقليدية بشأن الخلافة العالمية العابرة للحدود والقارات عبر دعايته الإعلامية ودوره في إسقاط أعداد كبيرة من القتلى في ولاية غرب أفريقيا ومواصلة غزوة الثأر لمقتل البغدادي داخل نطاق ساحات نشاطه الأفريقية.

> التنظيمان يركزان على إثبات نفسيهما ميدانيا، ويحاول كل طرف منهما تأكيد أنه الأجدر بالاستحواذ على الفضاء الأفريقي الجاذب للجهاديين الفارين من سوريا والعراق

ويحرص داعش على إظهار وحدة خلافته بين سوريا والعراق وأفريقيا وآسيا وأوروبا، كما يحرص عبر منابره الإعلامية على أن يكون الرد على هزائمه تحت عنوان غزوة الثأر لمقتل زعيمه السابق البغدادي وهو ما ترجم على أرض الواقع بعمليات إرهابية تؤكد رغبته في تكريس منهجيته بشأن الخلافة العالمية وإظهار وحدة جنود الخلافة مهما باعدت المسافات بين ولاياتهم وانتشرت الحدود والحواجز بين ساحات جهادهم.

صبغة محلية

إثر إطلاق داعش ما أسماه "غزوة الثأر لأبي بكر البغدادي وأبي الحسن المهاجر"، شن مقاتلو التنظيم سلسلة من الهجمات شملت أهدافًا عسكرية ومدنية في النيجر ونيجيريا وبوركينا فاسو ومالي، بجانب عمليات بمناطق متفرقة من العالم.

على الطرف المقابل، يصبغ الخطاب الإعلامي للقاعدة في أفريقيا نشاطاتها وأهداف عملياتها وتحركاتها بالطابع المحلي، وذلك لتأكيد جوهر الأهداف التي تحملها رسائله، والجهات المطلوب تكثيف الأضواء عليها خلال المرحلة المقبلة.

وفي إصدار صوتي لمؤسسة الزلاقة الجناح الإعلامي لجماعة نصرة الإسلام والمسلمين مؤخرًا تحت عنوان "وإن غدًا لناظره قريب" بمناسبة مرور سبعة أعوام على مرور ما وصف بالاحتلال الفرنسي لمالي، دعا أحد قيادات التنظيم للانضمام للقاعدة عارضًا صورا من مظاهرات نظمها ماليون ضد الوجود الفرنسي، ومقاطع من كلمات لأسامة بن لادن وأبويحيى الليبي تندد بالاحتلال الفرنسي لمالي، للإيحاء بتطابق التوجهات والأهداف بين عامة الشعب وقادة التنظيم.

عكس بيان لجماعة "أنصارو" التي تسيطر على مساحات شاسعة شمال نيجيريا والتي عاودت نشاطها تحت راية القاعدة مكرسة انشقاقها عن بوكو حرام، حرصها على إظهار تمايزها عن خلافة داعش عبر طرح تصور خلافة محلية تساير تطلعات المجتمعات المحلية في سياق السعي لما أسمته الخلافة الفولانية المسلمة التي كانت قائمة حتى عام 1804 وتزعمها الداعية عثمان بن فودي الفولاني وضمت شمال الكاميرون وشمال نيجيريا وجنوب النيجر واستمرت حتى الاستعمار البريطاني والفرنسي للقارة الأفريقية.

ويضاعف إعلان تنظيم "أنصارو" تبعيته للقاعدة ومواصلة نشاطه الذي توقف منذ حوالي سبعة أعوام، الانقسامات داخل بوكو حرام ويمهد لتشجيع أجنحة أخرى داخل التنظيم، مثل ولاية غرب أفريقيا بالانضمام لهذا التنظيم في شمالي غرب نيجيريا وانتهاج الخط القاعدي.

وجاء انفصال ولاية غرب أفريقيا سابقًا عن بوكو حرام، على خلفية رفض التوسع في تكفير وقتل المدنيين والنساء والأطفال، علاوة على الفساد الإداري والمالي وسوء معاملة قائده أبوبكر شيكاو لباقي القادة واستهداف بعضهم بالقتل.

وتأتي الخطوة الجديدة في سياق الجهود التي تبذلها الفصائل الموالية لتنظيم القاعدة في أفريقيا لاستعادة الأفرع التي سبق وأعلنت مبايعتها لداعش، عبر تفعيل نشاطها، وانطلاقًا من منهجية وأفكار القاعدة التي تراها الأقرب ملاءمة لأهداف واحتياجات السكان المحليين المتعلقة بالطابع المحلي لمشروع خلافته، وتقديم نفسه كشريك في النضال ضد المحتلين والغزاة الأجانب وتمكين أصحاب البلاد من الانتفاع بثرواتها.

ويحرص تنظيم القاعدة بالتوازي على تأكيد تراجع دور ونفوذ تنظيم داعش في أفريقيا عبر الترويج لفكره الذي يحصر التكفير والمواجهات المسلحة ضد مؤسسات الدولة وأجهزتها الأمنية والعسكرية، مقابل إبراز اعتماد داعش على المقاتلين الأجانب وعلى النازحين من بؤر الصراع بالمنطقة العربية وليس على أبناء البلاد من معتنقي الأفكار السلفية، فضلًا عن استهداف داعش للمدنيين.

عقد من الاستقطاب التركي للكراغلة في ليبيا

أنقرة – حوّل التدخل التركي في ليبيا، منذ توقيع الاتفاق العسكري بين الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ورئيس حكومة الوفاق الليبية فايز السراج، النقاش إلى الحديث عن عشيرة الكراغلة كورقة ضغط عرقية تعتمدها أنقرة لتأليب شريحة واسعة من الليبيين ضد الجيش الوطني الليبي.

وعلى عكس بعض الآراء التي تحصر هذه الخطوة في أنها وليدة الدفع التركي لمضاعفة تدخلاتها في الشأن الليبي مؤخرا، يؤكد المراقبون أن هذه الورقة ليست جديدة بل إن النظام التركي بدأ بتوظيفها في ليبيا منذ اندلاع الربيع العربي وتحديدا مع سقوط نظام العقيد معمر القذافي.

إنّ عدد الأتراك الذين يعيشون في ليبيا بحسب العشرات من التقارير هو مليون و400 ألف شخص. وتشير الدراسات إلى أن الأتراك الليبيين هم بقايا الوجود العثماني هناك، وتؤكد على أنهم يعيشون في مصراتة اليوم. ولعشيرة "كول أوغلو" التي تعيش، ليس فقط في ليبيا، ولكن في الجزائر وتونس أيضًا، تاريخ يمتد إلى عام 1500.

بعد احتلال مصر عام 1517، تم أيضا فتح المنطقة التي تضم بنغازي ودرنة وطبرق حاليًا، والتي كانت تسمى "سيرينايكا" في ذلك العصر.

ومع احتلال طرابلس من قبل تورغوت ريس عام 1553، تأسس الحكم العثماني في طرابلس، وبدأ العثمانيون الاستقرار في ليبيا. وذهب 12000 من الانكشاريين والجنود اللوند إلى ليبيا.

هذه الجماعات، التي لا تزال موجودة حتى الآن في ليبيا والجزائر وتونس، والتي تسمى الكراغلة، كول أوغلو وكولو أوغلو تنحدر من سلالة العثمانيين.

وباستثناء هؤلاء، جاء الأتراك القرمانيون إلى ليبيا من الأناضول أيضًا. وحكم هؤلاء الأتراك، المنحدرون من سلالة "قرمان أوغلو" ليبيا منذ عام 1711 وحتى عام 1835 باسم العثمانيين، على أنهم "أسرة القرمانيين الحاكمة".

وتشير المحللة السياسية سارة رشاد إلى خطاب أردوغان الذي قال فيه إن أنقرة مطالبة بمساعدة مليون تركي، وتلفت الانتباه إلى أن عشائر "كول أوغلو" على علاقة مع تركيا منذ بداية ما يُسمّى "الربيع العربي" أساسا.

ووصفت رشاد أسلوب أنقرة، التي تلعب بورقة ليبيا تركية الأصل لتبرير تدخلها في ليبيا، بأنه "خدعة قديمة"؛ وزعمت أن عشيرة "كول أوغلو" التي تتألف من 13 قبيلة، قادت الميليشيات التي قاتلت القذافي عام 2011.

وقالت رشاد إن السياسيين الليبيين يرون أن دور "كول أوغلو" في أحداث 2011 لم يكن من قبيل الصدفة، وتقول "إن تركيا حشدت هذه المجموعات من أجل الإطاحة بالقذافي وتنفيذ مشروعها للسيطرة على ليبيا".

وتشير المحللة السياسية تشير إلى وجود جمعية "كول أوغلو" الليبية والتي تأسست عام 2015؛ وأن هدفها هو إحياء التراث العثماني في شمال أفريقيا، وتقول أيضا "هذه جمعية قوّضت استقرار المجتمع الليبي، حتى أنها أرادت منح الجنسية التركية لأفراد كول أوغلو المقيمين في ليبيا".

وتقدم رشاد معلومات إضافية حول هذه الجمعية منها أنهم أرادوا أن يتم منح "كول أوغلو" الجنسية التركية. وأنهم شكلوا لجنة لإزالة الإساءات المتعلقة بالعثمانيين من المناهج التعليمية. وأرادوا افتتاح دورات لتعليم اللغة التركية، وإنشاء محطة إذاعية للأتراك الليبيين. كما خططوا لترميم الآثار العثمانية في ليبيا، وبناء مسجد مماثل لمسجد السلطان أحمد أو ما يُعرف بالمسجد الأزرق.

ويقول الدكتور زكريا سليمان الزعبي أحد أعضاء هيئة التدريس بقسم المعلومات في جامعة سرت ورئيس مجلس إدارة جمعية الكراغلة الليبية، إن أجدادهم جاؤوا من تركيا، ويضيف "هناك عائلات تُنسب إلى أماكن تركية مثل توقات، وأسكيشهر، وموغلة، وإزمير، وما شابه ذلك".

ويؤكد الزعبي أن هذه العائلات ما زالت تحافظ على الثقافة التركية العثمانية حتى اليوم، ويذكر أن أكبر عيب هو أنهم نسوا اللغة التركية. زاعما أنه يوجد في ليبيا اليوم حوالي 1.5 مليون من سلالة "كول أوغلو".

> الموجة الأولى من الربيع العربي منحت أردوغان فرصة ثمينة للعب ورقة عشائر «كول أوغلو» لتبرير التدخل في الشأن الليبي

وتقول سارة بوضوح "تشجيعًا لمزيد من الولاء للهوية التركية، تنشر الجمعية منشورات تتغنى بعظمة الحكم العثماني في ليبيا" مدعية أن ليبيا تحت الحكم العثماني كان لديها جيوش برية وبحرية قوية. حتى أنّ هذه الجمعية انضمت إلى المنظمة الدولية للثقافة التركية "توركصوي Türksoy"، والتي تهدف إلى توحيد أبناء العرق التركي في جميع أنحاء العالم والجمع بينهم. ومع أن الليبيين ينتقدون الجمعية، إلا أنهم لم يهتموا كثيرًا بالتلميحات حتى حديث أردوغان عن تركيا تحمي "كول أوغلو".

وبعد أن تقتبس رشاد كلام محمد الزبيدي، أحد الباحثين المتخصصين في الشأن الليبي، والذي يشير إلى أن "كول أوغلو" يشكلون خطرًا كبيرًا محتملاً، وأنه ينبغي مقارنة ذلك بالتجربة التركية في قبرص عام 1974، تضيف "دخلت تركيا قبرص عام 1970 بذريعة الدفاع عن الأتراك القبارصة. نفذت أنقرة إبادة جماعية ضد القبارصة اليونانيين، على الرغم من أن تعداد أحفادهم من ذوي الأصول التركية يعادل 20 في المئة من السكان هناك".

وأكدت "في ذلك الوقت، لعب القبارصة الأتراك أيضًا نفس الدور الذي تلعبه 'كول أوغلو' في ليبيا. وهذا أيضا كان لتعزيز مخططات تركيا وتمهيد الطريق لمصالح أنقرة. التشابه بين الدور التركي في قبرص في سبعينات القرن الماضي وليبيا اليوم واضح للغاية".

بالإضافة إلى كل هذه المعلومات، توجد مجموعة من ممثلي القبائل الذين يمثلون "كول أوغلو" أصدرت في الفترة الاخيرة بيانًا يدعم المشير خليفة حفتر والجيش الوطني الليبي. وفي هذا البيان، أدانت العشائر ما قاله الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بحقهم، وأعلنوا أنهم موالون لليبيا، وليس لتركيا. وتحدثت مجموعة من قبائل "كول أوغلو" التي وصفت أردوغان بـ"الطمّاع" بالقول "نحن نقف إلى جانب جيشنا الوطني ضد الإرهابيين".

ورقة عرقية واهمة